التحليل الأدبي للنصوص النثرية

1- مقدمة بسيطة عن النثر الأندلسي عموماً والتعريف بالفن النثري الذي ينتمي إليه النص .

2- معاني النص.

3- رموز النص التي استخدمها الكاتب ودلالاتها.

4- المؤثرات المشرقية (الإكثار من الأمثال-الاستشهاد بالأشعار-التلويح بالإشارات إلى الأشخاص والأحداث).

الأساليب البلاغية واللغوية والتصويرية والفنية (السجع- البديع- الإطناب - الإيجاز- صفات الألفاظ والتراكيب- الأفعال- المعجم الدلالي...). مشفوعة بالأمثلة.

5- خاتمة.

ملاحظة :لابد عند التحليل من ضرورة مراعاة خصوصية كل نص حسب الفن

الذي ينتمي إليه، وهو ما سيتضح من خلال الأمثلة التي ستمر معنا.

تحليل نص من الرسائل التي تنتحل صفة المناظرة :

وهي الرسالة التي كتبها أبو الربيع سليمان بن أحمد القضاعي، وقد خاطب بها يوسف بن حسداي إسلامي العقيدة، إذ طلب منه آلة نجارٍ خدم عنده، فرفض أن يردها، فقال له:

" وقد أنكرتُ أشدّ الإنكار, بخلك بالميشار, وأعملت الفكرة في النظر إلى بعض مراميك, والبحث عن غموض معانيك فلاح لي دريّة مرماك, وأشرفتُ مطّلاً على مغزاك, وحدستُ بعد تسديد سهام التوهم , ورميتُ عن قسيّ التفهم , أنّ علة ضنانك به من أجل ما مرّ ببالك ذكر الشجرة التي أشرت وفيها يحيى بن زكريا عليه السلام؛ فتحرجتَ أن تخرج من حريمك آلة كانت سبباً إلى حدثٍ مشؤوم, بسفك دم نبي كريمٍ ... ألم ترَ إلى موسى عليه السلام كيف أقبس ناراً فاقتبس أنواراً... ألم تعاين الكتابة- التي أنت قطبها- وهي أجلّ صناعة, ربما عدل بها عن نبلاء المحسنين إلى الدخلاء الأميين , الذين لا يعلمون الكتاب إلاّ أمانيا ".

مقدمة :

فن الرسائل فن من الفنون الأدبية النثرية التي سادت في العصر الأندلسي سيادتها في العصور العربية الأخرى، وكان لها عند الأندلسيين قسمان : قسم غايته محاكاة الأشياء أو التأمل في بعض المشكلات ومناقشتها من دون الالتفات إلى الأسلوب البياني والبلاغي، وقسم آخر بياني النزعة غايته إظهار البراعة الأسلوبية والبلاغية وهناك رسائل تجمع بين هذين القسمين. والرسالة التي بين أيدينا بيانية النزعة؛ غايتها إظهار البراعة الأسلوبية والبلاغية وقد اتخذت شكل المناظرة التي لاتعتمد على طرفين متناظرين بقدر ماتعتمد على إيراد دلائل وبراهين تصف سلوك من كُتبت عنه.

معاني الرسالة :

كتب هذه الرسالة أبو الربيع سليمان بن أحمد القضاعي مخاطباً فيها يوسف بن حسداي إذ كان قد طلب منه آلة نجار خدم عنده فرفض أن يردها، فوجه له هذه الرسالة وقد أنكر عليه بخله لأنه يطلب شئياً يسيراً تافهاً، لا درراً أو جواهر ثمينة.

وهذا الرفض جعل الكاتب يبحث في علته وأسبابه عند ابن حسداي وبعد التفكير توصل الكاتب أن جعل علّة بخله بهذا المنشار يعود إلى أصله اليهودي وهم قوم

عرف عنهم البخل، فيهزأ منه حين ذاك، ويوضح له في رسالته أن الخشبة التي كان يريد نشرها لا يوجد فيها يحيى عليه السلام لكي يمنعه من نشرها وإنما كانت فيها أرضة يريد التخلص منها، ثم يذكره بأن من يبخل بالتافه اليسير فقد ارتكب أسوأ بخل، ثم يشير القضاعي إلى عدم العدالة في إعطاء الفرص بين الكتاب ويسخر ممن يحتلون المناصب وهم غير أهل لها.

رموز النص :

يندرج النص تحت مسمى فن الرسالة، لكنه اتخذ شكل المناظرة وهي من الفنون النثرية التي برع فيها الكتاب العرب منذ العصر الأموي، وهو فن يسعى الكاتب من خلاله إلى إثبات رؤية فكرية خاصة به إلى جانب إثبات مقدرته البيانية، وبراعته الأسلوبية بطريقة خيالية أو غير خيالية تقوم على حقائق ودلائل وبراهين. وقد ظل هذا الفن الأدبي محتفظاً بمكانته في الأدب العباسي وانتقلت العناية به إلى الأندلس نتيجة تأثّر كتّاب هذا الأدب بكل ما هو مشرقي، ويمكن العثور في هذا النص على رموز متعددة تؤكد هذا التأثر ،أهمها: رمزية قصص

الأنبياء التي وردت في القرآن الكريم)يحيى وزكريا وموسى عليهم السلام(، وقد حاول الكاتب توظيف هذه الرموز في نصه لتبيان معانيه وتوضيح غاياته، وأيضاً قوله في جملة "لا يعلمون الكتاب إلا أمانيا" تدل على أن الآيات القرآنية نفسها كانت منصرفة إلى أهل الكتاب أنفسهم، وأن بعضهم اتّصف بصفات التصقت بهم منذ القدم) البخل عند اليهود كما يشير الكاتب(،ومن ثم لا يستحق مثل هؤلاء الكتّاب المكانة التي يحظون بها عند أصحاب المناصب. وقد وظّف الكاتب كل هذه الرموز ليعرّض بابن حسداي بالسخرية من بخله وقلة معرفته، وبالتالي هو لايستحق المكانة التي وصل إليها عند أصحاب المناصب في نظر الكاتب، وهو يشير من الجانب الأخر إلى سعة اطّلاع الكاتب على النصوص الدينية ومعرفته العميقة بصفات الناس وأحوالهم وأخلاقهم، وإلى مقدرته الأدبية وبراعته الأسلوبية في الوقت ذاته، وكل هذا يصب في الشكل الفني المأثور عن فن المناظرات.

المؤثرات المشرقية :

مما يلاحظ على هذه الرسالة تأثرها بأساليب الكتاب المشرقيين خاصة أسلوب الجاحظ الذي كان يعتمد على الاستطراد، والترسل، وعلى السخرية والتهكم. والقضاعي انتهج المنهج نفسه خاصة عندما اعتمد التهكم والسخرية والأسلوب الهزلي في نصه، كما تأثر بأسلوب الجاحظ في سرد المتعاطفات دون التركيز على السجع، واعتمد على التلويح بالإشارات والرموز، وقد ذكرنا معظمها ،كما كنا نرى عند ابن المقفع الذي استخدم هذه الأساليب في تقديم قصصه في كليلة ودمنة ليوصل أفكاره إلى العامة والخاصة على حد سواء .

الأساليب البلاغية والتصويرية والفنية :

بالنظر إلى الأساليب البلاغية والفنية في هذا النص فنلحظ ما يأتي:

1- وجود نمط من السجع في بعض الجمل القصيرة دون التركيز عليه ما يعني أن السجع فيها أتى دون تكلف مثل قوله: "**فلاح لي دريّة مرماك- وأشرفت مطلاً على مغزاك**" . وأيضاً قوله: "**وربما عدل بها عن نبلاء المحسنين**

إلى الدخلاء الأميين ". وهذا يعني أن السجع أدى دوره في تقسيم الجمل والفواصل تقسيماً خدم الشكل ولم يؤثر في جمالية المضمون.

2- نلحظ وجود البديع من خلال الطباق المعنوي والمقابلة بين صورتين مثل قوله: "**نبلاء المحسنين والدخلاء الأميين**" . والجناس في "أنكرت – إنكار" وكلاهما يشيران إلى تأثر هؤلاء الكتاب بكتاب القرن الرابع في المشرق كابن العميد والصاحب بن عباد، وبأساليب كتابتهم التي اعتنت بالبديع والسجع لكن دون تكلف مفرط، وبأسلوب متوازن يضمن للنص جماليته الفنية والدلالية.

3- أما الألفاظ فهي في معظمها بسيطة وواضحة وموحية وليس فيها شيء من الغرابة من ذلك قوله: "**معانيك– مرماك– مغزاك..**", وكذلك تراكيب النص فهي مترابطة ومنسجمة مع بعضها ومناسبة لأداء المعاني التي أراد الكاتب إيصالها.

4- وإذا التفتنا إلى المعجم الدلالي للمفردات فنجد أن جزءاً كبيراً منها أخذ من القرآن للتأثير والتعريض بابن حسداي في الوقت نفسه.

5- اعتمد الكاتب على الأفعال أكثر من الأسماء لسيرورة النص وأداء الحركة المعنوية فيه. وقد أجاد الكاتب كل الإجادة في هذا الأسلوب، وكان له تأثيره الدلالي والمعنوي في المتلقي لتتحرك انفعالاته للسخرية من بخل هذا الرجل.

6- اعتماد الكاتب على الصور البلاغية كان قليلاً لأن النص لم يعتمد على الخيال بل على إيراد الدلائل والبراهين، فنحن هنا أمام رسالة اتخذت روح المناظرة، وإن استخدم الخيال فقد استنبطه من الأسلوب القرآني وهذا يصب في هدفه من إبراز الدلائل، كقوله: "أقبس ناراً فاقتبس أنواراً" .

خاتمة :

إن النثر في العصر الأندلسي لبس أثواباً عديدة وكان في بعضه يحاكي التراث المشرقي أي يحاكي طرائق ابن المقفع وسهل بن هارون والجاحظ أو كتاب القرن الرابع مع ذلك كان لكل كاتب من هؤلاء خصوصيته في أخذ لون من هذه الألوان والنسج على منوالها، وإخراجها بنكهة أدبية خاصة تحدد ميوله وأساليبه.